## المحاضرة1: أهمية الاقترابات في دراسة العلاقات الدولية

1: المقترب والمفاهيم المتشابهة

يشير المقترب إلى زاوية النظر للموضوع التي يتم توظيفها من أجل الوصول إلى المعرفة، والتفسير العلمي للظواهر السياسية والاجتماعية، وبالتالي فهو إطار يؤخذ كأساس عند دراسة هذه الظواهر، عبر تحديد نوعية المفاهيم والاستفسارات التي يستعملها الباحث في دراسته. إلى جانب تحديد المعايير المستخدمة في انتقاء الأسئلة التي تطرح، والضوابط التي تحكم اختيار موضوعات ومعلومات معينة أو استبعادها من نطاق البحث.

والملاحظ أن كثير من الباحثين يقرنون الاقتراب بأحد المجالات التالية: القانون أو الاتصال فنجد الاقتراب القانوني. كما يمكن أن يقترن بالقوى السياسية، أو الظواهر المختلفة، كظواهر العنف السياسي مثل: الثورات أو الانقلابات، ثم القوى السياسية الهامة.

أما بالنسبة **لمفهوم التيار**: فهو لا يختلف كثيرا عن "المدرسة" وعن الاتجاه بالخصوص، لذلك تصنف عادة المواضيع والأفراد والساسة والسلوكات والاتجاهات..... وفق اتجاهاتهم الأيديولوجية والسياسية، أو انتمائهم لهذا التيار أو ذاك.

**مفهوم المدرسة:** يشير المعنى الاصطلاحي الضيق للمدرسة، إلى جماعة من الفلاسفة لهم مذهب واحد، ونظام واحد. أما بالمعنى الواسع، فهي تعني جماعة من العلماء والفلاسفة الذين ينتسبون إلى مذهب واحد، أو يدافعون عن مبدأ أساسي واحد. وإذا استعمل لفظ "المدرسة" بصيغة المفرد دل على الفلسفية المدرسية، وفي العلاقات الدولية، فإن المدرسة تعني ذلك الطريق المتكون من مفاهيم وتقنيات وتجارب يمكن توظيفها للبت في ظواهر دولية معينة، بالإضافة إلى ذلك فإن المدرسة هنا قد تعني تيارا معينا في ساحة العلاقات الدولية، يحاول فهم وتفسير ظاهرة العلاقات الدولية ككل، لذلك نجد من يتبع في تحاليله في هذا المجال من التخصص المدرسة الفرنسية، وآخر المدرسة الألمانية، المدرسة الأنجلو–سكسونية. لهذا نجد تسميات مثل المدرسة الأمريكية في العلاقات الدولية.

**مفهوم الاتجاه**

في علاقته بالعلاقات الدولية، يظهر "الاتجاه" كمحدد طبيعي لعلاقات الدولة بباقي الأطراف الدولية، ذلك أن توجه كل دولة تحكمه بالضرورة اعتبارات عديدة ومعقدة، مثل النهج الاقتصادي، أو الاختيارات الاقتصادية التي تتبعها، فهناك من الدول من ينتهج سياسية الاقتصاد الحر/ الليبيرالي، وهناك من كان ينتهج الاقتصاد الاشتراكي.

فعلى سبيل المثال قد تمكن غلبة النزعة المحافظة على اتجاهات الفرد تجاه المشاركة السياسية للمرأة مثلا، من التنبؤ بوجود نزعة متحفظة فيما يتعلق باتجاهاته نحو قضايا التدخل العسكري بالخارج، في حالة وجود علاقة بين المشاعر المختلفة للفرد.

وحسب ظروف الاختلاف في التوجهات السياسية العامة، تبرز الاختلافات في الاتجاه وفي تحديد المواقف والسياسة العامة بين دولة ودولة أخرى بسبب مصالحها واستراتيجيتها المعتمدة.

**مفهوم النموذج:** هو عبارة عن بنية معرفية، أو خريطة تصورية لمجموعة من الافتراضات التي يشكلها عقل الإنسان ويجردها من العديد من العلاقات والتفاصيل والحقائق الموضوعية، ويستبقي بعضها بالنظر إلى قدرتها التفسيرية.

كما يقصد به بناء نظري نحاكي من خلاله آلية نظام معين ونجسد الخصائص البنيوية الرئيسية له، فمثلما يصنع التقني نموذجا لطائرة ما يجسد من خلالها تركيب هذه الطائرة وعمل أجهزتها يمكن وضع –ولو بصعوبة أكبر– نموذجا لمجتمع أو دولة أو غيرها.

للنظرية علاقة وثيقة بالنموذج، خاصة في العالم الغربي، حيث يستعمل عادة "النموذج" للدلالة على "النظرية"، حيث نجد أن التعبيران يستخدمان بذات المعنى، أو يمكن أن يستخدم أحدهما بمعنى الثاني. فالنماذج تكتسي يمكن أن تحل محل النظرية بتوافر إثبات تطبيقي لها. تختلف النماذج باختلاف الحياة الإنسانية في أبعادها المختلفة، غير أن النموذج لا يمثل صورة النظام في بنائها الشكلي فقط بل وفي آلية حركته عبر الزمان والمكان، وهنا تتسع مساحة النموذج وتضيق طبقا للنظام الذي نسعى لدراسته وطبقا لبساطته أو تعقيد آلية عمله، بحيث يمكن الحديث عن نموذجين:

أ–**نماذج النظم الفرعية:** أي تلك النماذج التي تحاكي عمل نظم محددة في قطاعات معينة (السلطة التشريعية، الحزب، التعليم...) كما أنها تنحصر في إطار محدد في مستوى النظام فنجدها على مستوى وزارة، أو دولة . أو إقليم فرعي.... وفائدة هذه النماذج في أنها أيسر بناء من الأخرى وربما تكون القدرة على التحكم في معطياتها أسهل.

ب–**نماذج النظم الكلية:** وهي التي تحاكي بناء وآلية نظام رئيسي مثل النظام الدولي في أبعاد مختلفة، وبالتالي فإن النماذج الأولى تصبح احدى مقومات بناء هذه النماذج.

لذلك فهناك مجموعة من العناصر التي يجب مراعاتها في لناء النموذج وهي:

- القطاع الذي تتناوله سياسيا أو اقتصاديا أو غير ذلك.
- الهدف الذي يرجوه مصمم النموذج.
- المستوى النظامي للنموذج، أي هل هو تمثيل لنظام كلي أو لمجموعة من النظم الفرعية.
- البعد الزمني الذي يغطيه النموذج.[i]

يعد حقل العلاقات الدولية مجالا متجددا، دائم السعي إلى مقاربة الآفاق الجديدة، وهو مجال متغير ديناميكي لذلك تعبر المقاربة وغيرها من المصطلحات عن تلك التوجهات النظرية المختلفة للتنظير والتفسير في العلاقات الدولية. هاته الأخيرة يمكن اعتبار أنها تشير إلى معاني ثانية عندما تستعمل في مجالات غير مجالات النظرية في علاقاتها بحقل العلاقات الدولية، بل إنه في المجال الواسع للعلاقات الدولية قد نوظفها توظيفا مختلفا وأحيانا متناقضا، ومع هذا، يبقى استعمال هذا أو ذاك من المصطلحات المشار إليها في مجال السياسة الدولية يشير عادة، إلى الفهم والتفسير أو التحليل للظواهر الدولية المختلفة كما تتجلى في الواقع، وكذلك الصورة التي قد تظهر عليها في المستقبل، وهي نفس الغاية التي ترمي إليها "المقاربة" في تحليلها لظواهر العلاقات الدولية وتفرعاتها، مع تسجيل الاختلاف بين تلك المصطلحات من حيث اللغة/ الترجمة، ومن حيث الغاية التي نريد الوصول لها.

[i] حددت جمعية المستقبلات الدولية الأمريكية خمسة مستويات زمنية في بناء النماذج، أطلق عليها "**تصنيف مينوستا** " وهي: المستقبل المباشر (الذي يمتد لفترة دون عامين)، المستقبل القريب (يمتد لفترة دون خمس سنوات)، المستقبل المتوسط (يتراوح ما بين الخمسة إلى عشرين عاما)، المستقبل البعيد (يتراوح بين عشرين عاما إلى تصف قرن)، المستقبل غير المنظور (يتجاوز النصف قرن).